# نحن واللغة العربية

— ٣ —

## اللغة العربية في العصر الحاضر : ١ . [ في مصر ]

للأمير مصطفى الشهابي

حلّ القرن العشرون فبدأت أرواح النهضة الحديثة تتورّ وتثمر . وكانت مصر في أوائل هذا القرن محط رجال الكتاب والأدباء ورجال الصحافة . وما برحت مصر قلب العالم العربي وأم معقل اللغة العربية . وأسباب ذلك أنها انفصلت عن الدولة العثمانية قبل غيرها ، وأن فيها الأزهر ، وأنها غنية ، وأن سكانها يبلغون ستة عشر مليوناً ، وأنها أخذت بوسائل المدنية الحديثة وبتعلم العلوم العصرية باللغة العربية منذ أيام محمد علي في القرن الماضي .

وإذا ألقينا النظر في الثمار التي جنتها اللغة العربية بمصر في عهدنا هذا نجد أنها تتلخص فيما يلي وهو : —

أولاً — ازدادت ساعات تدريس العربية في مدارسها وسهّلت وسائل تدريسها

ثانياً — أصبحت جميع المدارس الابتدائية والتجهيزية والزراعية والصناعية وكثير من المدارس العليا تدرّس بالعربية .

ثالثاً — ارتقت لغة الصحافة ، وتعددت موضوعاتها ، وانتشرت الصحف انتشاراً واسعاً مما قرب اللغة الفصحى الى العامة وجعلها في متناول مداركهم .

رابعاً — إرتقت لغة الدواوين في الحكومة المصرية ، ولا قياس بين لغة الموظفين السقيمة في القرن الماضي ولغتهم في أيامنا هذه .

خامساً — أُلف بالعربية عدد لا يستهان به من الكتب المدرسية في مواضيع العلوم المصرية المختلفة .

سادساً — طبع مطبعة الحكومة ومطبعة دار الكتب المصرية كثيراً من كتبنا الأدبية، ومعاجمنا اللغوية. ولجنة التأليف والترجمة والنشر في برنامجها هذا، فضل كبير في هذه الناحية من نشاط مصر الأدبي والعلمي.

سابعاً — أنشيء مجمع لغوي إسمه مجمع فؤاد الأول للغة العربية أهم أغراضه المحافظة على سلامة هذا اللسان، وجعله وافياً بمطالب العلوم والفنون في تقدمها، ملبياً لحاجات الحياة في العصر الحاضر، وذلك بأن يحدد في معاجم أو تفاسير خاصة ما ينبغي استعماله أو تجنبه من التراكيب. وقد أصدر هذا المجمع حتى اليوم أربعة مجلدات من مجلته، فيها مقالات وبحوث مفيدة وترجمة نتائجه من المصطلحات العلمية.

ويتضح من هذه الخلاصة الموجزة أن لساننا المبين مدين لمصر في نهضتها الحديثة. ولكن هذا اللسان يطمح من هذا القطر العربي بمجهود أكبر يناسب استقلاله وثروته وعدد سكانه. فدواوين الحكومة في مصر مثلاً ما برحت تستعمل كثيراً من الألفاظ الأعجمية كالباش مهندس والحكيم باشي والأوسطة وأحزابها. وما برح في الجيش المصري عدد من الألفاظ غير العربية كالصاغ والبُرزباشي والأورطة وأشباهها، على حين أن مصطلحات الجيش بالعربية تكاد تكون اليوم تامة. وقد كان مبدأ وضع هذه المصطلحات في دمشق عقب الحرب العظمى الأولى، ثم تناول العراق هذا العمل المجيد وتوسع فيه حتى صار عندهم معجم كبير لتلك المصطلحات.

وإذا انتقلنا الى الجامعة المصرية نجد أن التعليم في بعض كلياتها ولا سيما كلية الطب ما برح يلقى باللغة الانكليزية. والقول بأن تعليم الطب وفروعه بلغتنا يدعو الى ابتعاد مدارسنا الطبية عن مثيلاتها في الغرب وعن الثقافة الغربية، قول بعيد عن الصواب على ما أرى. لأنه ما من أستاذ يدرّس بالعربية في مدرسة فنية عليا إلا وله اطلاع كاف على الفرنسية أو على الانكليزية، وما من مخبر من مخابر هذه المدارس إلا وله اتصال بمخابر الغرب وأساتذته. أما الطلاب فلا يمكن أن تتدنى ثقافتهم إذا درسوا العلوم والفنون العليا بالعربية ما دامت مدارس التجهيز تزودهم بلغة أجنبية تسهل عليهم الاتصال بمنتجات الغرب إذا شاءوا. وإذا لبثنا نقول بأن لساننا لا يحتوي على كتب كافية في العلوم العالية، ثم أهملنا التأليف بهذا اللسان لأن تلك العلوم تدرّس بلسان أجنبي، نكون قد وضعنا لغتنا الضادية في حلقة مفرغة، ونكون قد جنينا عليها جناية لا تغتفر.

وفي كل سنة تعقد الجمعية الطبية المصرية مؤتمراً طبياً في بلد من البلدان العربية،

وتجعل من أسس أعماله البحث في توحيد المصطلحات العلمية بالعربية . وأتذكر أن اجتماعنا في سنة ١٩٣٥ كان في دمشق ، وإني ألتبت في مؤتمرها الحاضرة على إعداد طرائق نقل المصطلحات العلمية الى اللغة العربية » وأن الأعضاء تكلموا وتناقشوا في هذا الموضوع ولم يتناولوه في كل عام . فاذ كانت النتيجة ؟ لقد كانت النتيجة أنهم أحالوا الموضوع الى مجمع فؤاد الأول للغة العربية وليست مدرسة الطب في مصر تدرس باللغة الانكليزية .

ولم يشر في مصر عدد يذكر من العلماء القادرين على إنشاء لغتنا بمصطلحات العلوم والمخترعات الحديثة .

ولم يؤلف في هذا العدد سوى معجم صغير في أسماء النبات للدكتور احمد عيسى ، ومعجم كبير في العلوم العلمية والطبيعية للدكتور محمد شرف كثير من ألفاظه تحتاج إلى إعادة النظر فيها .

وقد أفاد مجمع فؤاد الأول لساننا الغادي ببعض قواعد في تسهيل اللغة أجاز استعمالها ، ووضع أو أقر جملة من المصطلحات العلمية لا بأس بها . ولكن أين هذا العمل القليل من تحقيق أهم عمل يرتقبه العالم العربي من المجمع المشار اليه وهو وضع معجمين الأول إنرشجي عربي للمصطلحات العلمية والمخترعات الحديثة ، والثاني معجم عربي تعرف فيه الألفاظ تعريفاً علمياً ، كمعجم لاروس الصغير مثلاً . ووضع هذين المعجمين يتطلب جهود عشرات من العلماء الاختصاصيين في جميع بلاد العرب ولم نسمع بأن مجمع مصر استعان بواحد منهم ضمن اختصاصه فكلفه وضع الألفاظ المتعلقة بالعلم الذي يتقنه ، بل حصر عمله ضمن دائرة ضيقة فصارت الأيام والسنون تمر دون أن نسمع شيئاً عن هذين المعجمين . ومعجماتنا القديمة لا تصلح لأيامنا هذه . فهي خالية من مصطلحات العلوم الحديثة ، عدا أن كثيراً من ألفاظها قد عرفت تعريفاً بعيداً عن التعريف العلمي الحديث . وقد ذكرت في مقالاتي في المقتطف وفي مجلة مجمعنا العلمي العربي أمثلة عديدة على هذه النقائص . ولهذا وجب صنع المعجمين اللذين أشرت اليهما . ولكن صنع المعاجم المضبوطة علمياً في هذه الأيام لا يستقيم الا لجمهور كبير من العلماء الاختصاصيين . فمعجم لاروس الفرنسي المصور مثلاً عمل في تأليفه عشرات بل مئات من العلماء والأساتذة . ومعجم لاروس الصغير استنفد جهود عدد كبير منهم . وعددت ٧٥ عالماً ساهموا في معجم لاروس الزراعي الخ ...

ومهما يكن من أمر فالآمال معقودة على مصر في تحقيق هذا الغرض السامي . وعسى

أن تحتل الكتابة آمال أبناء العرب فيما يبذل جهدهما في حمله الناجحة كما فتحت أخيراً بالمغانم ثغوراً يقضي في الشركات الأجنبية في مصر بشدوين أعمالها ومحاماتها باللغة العربية . فمن في اتخاذ هذا التاريخ خدمة جليلة للغة الضاد ، علاوة على خدمة عدد كبير من الشبان المصريين بإيجاد مرتزق لهم .

وإذا حولنا حديثنا إلى الأدب والشعر والانشاء في العصر الحاضر نجد أن أدباء مصر وشعراءها وكتابها قد تحللوا وبلغوا الذروة فيما يبحث براعتهم من مقالات جليلة ، وفيما أطلعت قرائحهم من مصنفات ثمينة . ولاشك أنهم فاقوا في هذا الباب زملاءهم في الأقطار العربية السائرة على وجه الاجمال . وهذا سار لأدبائهم من مصريين ومتمصرين حق الزعامة الأدبية في البلاد العربية .

ومن أشهر الكتاب في مصر في أوائل العصر الحاضر الشيخ عبد العزيز جاويش وحفني بك ناصف ومصطفى صادق الرافعي والسيد مصطفى لطفي المنفلوطي صاحب كتاب النظرات والشيخ علي يوسف زعيم الصحافة المصرية في تلك الأيام وأحمد تيمور باشا وأحمد زكي باشا وهم من الكتاب العلماء .

أما الشعراء فأشهرهم أحمد شوقي وحافظ ابراهيم وخليل مطران . وقد برز هؤلاء الثلاثة وفاقوا غيرهم فكانت الامارة لأولهم ، وهو أخصب شعراء العصر فكراً وأوسعهم خيالاً وأقدرهم على النظم في مختلف الأغراض الشعرية . وكان حافظ ابراهيم شاعر السياسة والشؤون الاجتماعية على الاخص ، كما كان من أكبر الكتاب الناثرين . وخليل مطران فضل تزويد الشعر العربي بالوصف الرائع والأخيلة الواسعة التي يتذوقها المتأدب في روائع الشعر الأوربي ، وهو ممن ملكوا اللغة العربية فأجادوا في النثر كما جودوا في الشعر .

وظهر في مصر عدد كبير من الشعراء من طبقات مختلفة ، وكان ولي الدين يكن من أرق الشعراء . أما اليوم فقد بدأ نجم علي محمود طه يتألق . وهو صاحب قصيدة «الجوندول» وله قصائد كثيرة نحا فيها منحى الأوربيين واستلهم الشعر من رياضهم حوتا عجمة . ولولا أنه يجب ذكر العقاد في رهط الناثرين المبرزين لوجب ذكره في هذا المقام .

ومن أشهر الكتاب والأدباء الأحياء الذين تبضوا على ناصية البيان ، رهط درسوا في الأزهر ثم تثقفوا بالثقافة الأوربية فجمعوا بين الحسنيين أمثال طه حسين عميد كلية الآداب سابقاً ، وأحمد أمين عميدها اليوم ، وأحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة .

ومن الأدباء الذين ذاع صيتهم واستفاضت شهرتهم إبراهيم عبد القادر المازني والشيخ عبد العزيز البشري بالنقد والفكاهة والحكومة ، وعبد الحميد السعدي مدير كلية الآداب في الاسكندرية وعبد الوهاب عزام بالأدب الدرسي ، وعباس محمود العقاد وزكي مبارك بشتى نواحي الأدب . وكانت الآنسة مي أوسع الأدباء خيالاً وأغزرهن علماً ، وكانت دارها ندوة الأدباء . ولا مشاحة في أن يعتبر صروف أحد صاحبي « المقتطف » كان صاحب أجود قلم يعالج العلوم العصرية ويترجمها الى لساننا الضادي . أما اليوم ففي مصر عدد من الكتاب يكتبون العلوم بأقلام لا بأس بها ، وأكبر عقبة في حذا الضرب من الكتابة افتقار الكتاب الى عدد كبير من المصطلحات العلمية المضبوطة ولهذا زلّ من يجردون فيه .

ولا عجب أن يبلغ عدد من الأساتذة اللغويين في بلد تدرّس فيه دقائق اللغة وآدابها في مثل الأزهر وكليته العربية ، وفي مثل كلية الآداب ومدرسة القضاء الشرعي وكلها معاقل لهذا اللسان المبين . ومن أشهر هؤلاء الأساتذة الشيخ أحمد الاسكندري وكان يدرس العربية في مدرسة دار العلوم ، والشيخ ابراهيم حمروش شيخ كلية اللغة العربية في الأزهر ، وأحمد العوامري المفتش الأول للغة العربية بوزارة المعارف ، والشيخ حسين والي من اللغويين المشهورين ، وعلي الجارم مفتش اللغة العربية بوزارة المعارف والشيخ محمد الخضر حسين أحد أساتذة الأزهر ، وجميعهم أعضاء في مجمع فؤاد الأول للغة العربية . وفي الحقيقة صار يوجد اليوم في مصر عشرات من اللغويين المطلعين على دقائق آلات هذا اللسان .

أما التمثيل فقد أحسنت الحكومة المصرية بتأسيس فرقة قومية له لا تمثل الا بالفصحى . ومن دواعي الأسف انتشار التمثيل في مصر باللهجة المصرية العامية مما يضر بالفصحى ويخفي تكلفه على معظم ابناء العرب في الاقطار العربية السائرة .

ويتضح من هذه الخلاصة بل اللمحة بل الاشارة التي يجب أن أبلغكم اياها بسرعة الراديو في اقل من عشرين دقيقة ، أن في مصر اليوم عدداً عظيماً من الأدباء المبرّزين ، والعلماء الاختصاصيين بشتى العلوم ، واللغويين الذين تبحروا على أئمة اللغة ، والصحفيين الذين تمت لغة صحفهم وموضوعاتها ، والاساتذة الذين يدرسون الآداب والعلوم والتفوق في مدارس عديدة عصرية راقية . فلا غرابة بعد هذا أن تعد مصر ، من حيث الثقافة العربية العامة ، في طليعة الاقطار العربية .